مذكرة الى وفود الحلفاء من الموفد الكردي شريف باشا

الدكتور احمد عثمان ابوبكر
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

لقد اعتبر منذ البداية ان شريف باشا هو الموفد او الممثل الكردي لينوب عن الرؤساء الاكراد أمام مؤتمر السلام العالمي في باريس ويرافع عن المسألة الكردية امام تلك الندوة العالمية الموسعة بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى. وان مايأتي من أوائل المراسلات والمذكرات التي تقدم بها شريف باشا الى المسؤولين البريطانيين و أيضاً الى ممثلي الدول الاخرى المشاركة في المؤتمر.. ويلاحظ أن جميع ماكتبه هو جاء في اللغة الفرنسية .

فالوثيقة الرسمية البريطانية المرقمة (٦٠٨) (٩٥) (١٦٥٨٥) (الى المستر فانسيتارت) (مؤتمر السلام) (٢٩ تموز ١٩١٩)[1]، فهذه الوثيقة تتضمن رسالة من شريف باشا الى روبرت فانسيتارت السكرتير الاول في السفارة البريطانية في باريس، أوتيل أستوريا. وهي كالآتي :

٢٠ شارع دى ماسان ـ ٨ ـ
٩١ ت. واگرام ، باريس
٢٩ تموز ١٩١٩

السيد العزيز ،

متابعة لمحادثاتنا في اليوم الماضي، فانني التمس أن تضعوا المذكرة المرفقة طياً في تصرف وزير الخارجية المستر بلفور. وساكون لك ممتناً كثيراً اذ ما أطلعتني حسب الامكان على القرار الذي يتخذه هو بشأنها، لانه ينبغي عليّ العودة لأتمام علاجي بالراحة و الاستجمام الذي قطعته بسبب وصول الوفد الكردي ولأجل تحقيق اتصال واتفاق مع الحكومة البريطانية بدون اضاعة الوقت.

ومن المأمل أنني سأتخلى عن علاجي لأجل التفرغ لشؤون كردستان مع اشخاص يعيّنهم المستر بلفور لأجل القيام بالدراسة رسمياً لجميع المسائل التي اشرت اليها مختصراً في مذكرتي، والتي يكون من المهم مع ذلك ان نتبادل الآراء فيها .

وفي كل حال فان الفوضى السائدة في هذا البلد اي تركيا أمر مزعج جداً من الوجهة الاقتصادية وكذلك من وجهة نظر بريطانيا، وهو ملح ويتعين علي الفات نظركم اليه بوجه خاص.

وأقدم الاحترام للمستر بلفور، وهذه فرصة لأقدم لك آيات العطف .

شريف

وفيما تأتي المذكرة المرفقة مع الوثيقة :

أنه سوف لن يكون من المستحيل تحقيق السلم والامن في كردستان بقوة السلاح، غير ان هكذا مشروع يكون أقل كلفة في بلد غير هذا البلد. وكذلك فان التضحية بالانفس والاموال ستكون على مقياس اوسع لايتناسب مع النتائج الهزيلة التي قد تتحقق باعتماد هذا النوع من الوسائل.

فان ارضاخ كردستان بقوة السلاح لن يتحقق في اقل من عشرين سنة وأضاعة أنفس كثيرة جداً ، وهذا امر لايجوز تصوره في مثل هذه الازمان التي نعيش فيها.

أن الظروف العسكرية والوضع التوبوغرافي لكردستان يشبهان ظروف وموقع داغستان (بلدة في القفقاس). فروسيا الامبراطورية الكبيرة لم تستطع فرض هيمنتها على هذا البلد الصغير حتى بعد عشرين سنة من الحروب. وحتى الآن فالجنود والدرك الروس لايستطيعون التوغل في البلد، سوى الموظفين المدنيين في حالة حصول الموافقة لهم. أن هذا المثل التاريخي الواضح يؤكد ماذهب اليه. واذا اختارت انكلترة طريق القمع ضد كردستان فانها ستواجه صعوبات كبيرة جداً وبالاخص بسبب بعد مركز العمليات الحربية.

تعيش كردستان تحت نفوذ رؤساء العشائر والشيوخ، وهؤلاء متفرقون فيما بينهم ولكنهم يتضامنون دائماً باجمعهم في مواجهة العدو المشترك. وحتى تحت السلطة العثمانية، وهي سلطة اسلامية ومن نفس دينهم، فقد كانوا يتحدون لأجل ابطال محاولات تغلغل الادارة العثمانية التي لم تستطع خلال اربعة قرون بصورة نهائية فرض سيطرتها الا على بعض المدن الكبيرة.

وحتى يحين وقت ارتفاع المستوى الثقافي للبلد، فانه يتوجب التعامل مع الرؤساء الروحانيين للعشائر الكردية، وتطمين طموحاتهم، هذا اذا أريد ان يضمن ويؤمن جانبهم.

أن الزعماء الرئيسيين بين هؤلاء، و كذلك جميع الوجهاء الاكراد في استانبول قد تنازلوا عن تطلعاتهم الذاتية، وأنتخبوني (اي شريف) كرئيس لهم باجماع الآراء.

أن هذا الانتخاب لشخص من بين جلدتهم، وهذا بحد ذاته موقف مناقض تماماً لصراعاتهم الداخلية، ليظهر من جهتهم كعلامة معبرة عن وضوح رؤيتهم السياسية.

أن انتخابي قد نال في حينه استحسان المندوب السامي البريطاني في استانبول بتوسط الترجمان الاول، وان هذا الاختيار هو في عين الوقت اعتراف ضمني بتأييد بريطاني لكردستان، حيث انني ارى، كما يرى بني وطني، ان الشرط لقبولي بهذا هو الاعتراف البريطاني، لأنها هي الوحيدة التي تستطيع المساعدة في انهاض شعبي.

ان التجربة المؤسفة والمعاناة التي حصلت اخيراً في سليماني مع الشيخ محمود لابد ان تظهر للحكومة البريطانية بتجربتها المباشرة مدى صعوبة تحقيق اوضاع مرضية في هذا البلد. أن محاولة استحصال ولاء احد الزعماء الاكراد عن طريق الامل بالوصول الى اخضاع آخر لهي سياسة قد تطبق في بلد يسكنه شعب خامل، ولكن لكي تنجح في كردستان لابد من مجابهة صعوبات جمة بسبب المنافسة المستحكمة بين زعماء العشائر.

هناك خطورة كبيرة أخرى يفضل أن نقف على كنهها، وذلك متأت من محاولة وضع بلد لشعب متدين أساساً يراد به ان ينفصل عن الخلافة تحت سيادة بلد بلا دين.

ومن الواضح انه من الحكمة الأعتراف بكردستان حرة واقامة الحكومة المركزية التي ستعترف من جهتها لكل الزعماء الاكراد بحقوقهم المعهودة في مناطقهم، وهذا اسلوب يتميز في انه يتجاوب مع السياسة التقليدية التي تطبقها الحكومة البريطانية في جميع الاوقات، والتي تستطيع ان تضمن اعادة تنظيم الوجه الاداري و الاقتصادي والعسكري بطريقة حكيمة، وبذلك الاعتدال الذي يتسم به التوجيه البريطاني المعهود بدون اثارة حساسيات الشعب الكردي الغيور على حريته القومية.

ومن وجهة النظر الانسانية، وكذلك لمصلحة كردستان السياسية ذاتها ومصلحة أنكلترة، فانه يتعين أن نقدم حالاً التسهيلات لأجل تأسيس كيان كردي يحقق الادارة الوطنية والتي تستجيب لأمال جميع الزعماء الاكراد الذين يتوقون لان يجدوا تحت حكومة مركزية ضمان حقوقهم المعهودة في مناطقهم الاقطاعية وسد الطريق على كل الصراعات الداخلية ... وهم

بحسب الولاء المعهود سيلتصقون بهذه الحكومة ويمنحوها القوة والمنعة .

أنني استقبل السيد فخري عادل بيك الذي اوفده الشعب الكردي عندي لأجل التأكيد على كل ما استقر عليه قرار هذا الشعب بخصوصي وبخصوص أنكلترة، وهو خبير في الشؤون الكردية والذي يزودني بخزين من المعلومات التاريخية و القومية التي سيكون لي الشرف ان انقلها الى الحكومة البريطانية، لتقرير مايتوجب تقريره على ضوء ذلك ... ولكن قبل كل شيء يتعين انقاذ كردستان من الفوضى السائدة منذ الانهيار العثماني وبسبب التنافس بين الزعماء الاكراد .

ومن الجهة الاخرى، فان حوادث متنوعة داخلية وكذلك المسألة المؤسفة لأرمينيا تؤكد تماماً تحذيراتنا بهذا الخصوص .. ويفضل منح الرؤساء الاكراد معونات مالية ، لأولئك الرؤساء الساكنين في مناطقهم وكذلك الموجودين في استانبول العائشين في ظروف متدهورة منذ ايام الحرب؛ ان هؤلاء الوجهاء ينظر اليهم نظرة سيئة في استانبول بسبب تعلقهم بالآمال القومية .

وفي رسالة للسير لويس ماليت (سفير بريطانيا في باريس) يطلب هو مني أن يقوم سكرتيري الخاص الميجور غالب علي بيك خلال رحلته الى تركيا بتقديم استشارات مناسبة للرؤساء الاكراد سواء منهم الساكنين في استانبول او في مناطق البلاد الاخرى. أن وفد فخري عادل بيك قد زودني بمعلومات قيمة وافية عن ولاء بعض الرؤساء الاكراد الذين قديكونون موضع شك أنكلترة، وبينهم الشيخ عبدالقادر أفندي (الشمديناني) و أمين عالي بيك بدرخان .

وسيكون من المؤمل ان لجنة مختلطة مؤلفة من الميجور غالب علي بيك وفخري عادل بيك ومندوبين أثنين بريطانيين سيقفون عن كثب على الموقف، ليس فقط لأجل دراسة الوضع الاقتصادي و السياسي بل وايضاً المطاليب القومية للاكراد والارمن ...

انني سأكون ممتناً للحكومة البريطانية اذا شاءت بحسب الامكان ان تضعني في أرتباط مع شخصين مؤهلين سواءاً كانا مدنيين او عسكريين، وذلك لأجل ان نستطيع مجتمعين القيام بالدراسة الرسمية لجميع المسائل التي ستضمن النظام والقانون في هذا البلد، والقيام باعداد الحكومة الكردية المخصوصة وعلى نهج الامال الوطنية، وذلك قبل المثول أمام عصبة الامم ولأجل العمل على استحصال الاعتراف الرسمي من حكومة صاحب الجلالة البريطانية .

الجنرال شريف باشا

وأدناه جواب الوفد البريطاني بوصول مذكرة شريف باشا، وهو برقم : ١-٣٦٥/١/١ (١٦٥٨٥) .

الوفد البريطاني

باريس، ١ آب ١٩١٩

سيادة (شريف باشا)

التمس قبول اعترافي باستلام رسالتكم المؤرخة في ٢٩ تموز التي تفضلتم بارسالها لنا مرفقة بمذكرة لأجل تقديمها الى المستر بلفور بخصوص مستقبل كردستان.

وبالاعتراف مع الشكر باستلام هذه المراسلات فانني مخول بان اقول ان هذا الوفد (البريطاني) على اتصال مع وزارة الخارجية بخصوص الاقتراح بارسال لجنة الى كردستان. أما بخصوص الحل في المستقبل لمسألة هذه البلاد فنحن نرى في الوقت الحاضر ان لافائدة ترجى من المناقشة قبل ان يتناول المؤتمر (مؤتمر السلام) مجدداً هذه المسألة بخصوص مستقبل هذه البلاد العائدة للدولة العثمانية السابقة .

أن حل هذه المسألة قد تأجل ، كما هو معلوم لسيادتكم، الى حين توصل الولايات المتحدة الامريكية الى قرار بخصوص مشاركتها في نظام الانتدابات .

روبرت فانسيتارت

وأن الوثيقة المرقمة (٦٠٨) (٩٥) (١٩٤٦٣٦) (الجنرال شريف باشا) (٩ تشرين الاول ١٩١٩)[٢]، تتضمن مذكرة ضافية، وكذلك تعليق من المستر فوربس أدم على الموضوع، و بالصورة التالية :

أن الجنرال شريف باشا جلب اليّ هذه المذكرة الطويلة الفضفاضة البارحة مع التماس منه ان ترسل نسخة منها الى

وزارة الخارجية (البريطانية). وان تدرس النسخة الاخرى هنا. وهو يعتزم ان يرسل بالتالي بتصريح عن القضية الكردية الى المؤتمر (مؤتمر السلام) الذي سيطلب فيه من بين مايطلب انتداباً بريطانياً على كردستان، ويتوقع هو أن ينال كل تصريح يبعثه موافقتنا المسبقة.

أنني اقترح ان نشير للجنرال تحريرياً الى رسالتنا بتاريخ ١٢ ايلول (١٨٧٦١) والتي لم اطلع عليها عندما جاءنا هو وان نقول له انه لايمكن لنا ان نناقش هذا الموضوع بشكل مفيد اكثر من هذا.

وبأرسالنا لنسخة من هذه المذكرة الى وزارة الخارجية فانني اعتقد على كل حال بانه من المفيد ان نؤكد لهم بان مسألة ما اذا كانت الولايات المتحدة الامريكية تقبل او لاتقبل بالانتداب على ارمينيا فان هذا لايؤثر في الحقيقة على مسألة كردستان، اذ ان اللجنة الامريكية التي ستلاقي مقترحاتها بخصوص الحدود القبول في اكثر الاحتمال اذا وافقت امريكا على الانتداب على ارمينيا، فهذه اللجنة ستتمسك بالتأكيد بالرأي الذاهب الى ان مجمل مناطق كردستان (الواقعة الى الجنوب من الخط المرسوم من ديار بكر وحتى حدود ايران) يجب ان يقع خارج نطاق دولة أرمينيا. وهكذا فبصرف النظر عن مصير الانتداب على ارمينيا فانه يتعين علينا ان نكون مستعدين في النتيجة الاخيرة لأن نقرر ما إذا كنا سنقبل بالقيام بادارة كردستان بشكل خاص، أو بالارتباط مع ميسوبوتاميا بصيغة أنتداب او ان نقتسم ادارتها مع فرنسا.

ف. ادم
١٥ اكتوبر

وهكذا يبدو من كلام المستر ادم نفسه ان مواصلة النقاش مفيد في المحصلة الاخيرة. وانه بمناسبة ذكر تلك المناطق الكردية في الانضول أيضاً، قد يكون من المفيد القاء بعض الضوء على الاوضاع التي كانت سائدة هناك ساعتئذ.

ففي كتاب درايفر (كردستان والكرد)[٣] ينقل من يوميات الميجور نوئيل المقتطفات التالية :

أن مايأتي هو مقتطف من يوميات نوئيل عن رحلة في كردستان ويعبر فيها عن آراءه بخصوص الوضع في ديار بكر في مايس ١٩١٩ :

«كما هو الحال في اغلب بلدان الشرق، فان وجهاء مدينة ديار بكر يمكن، ماعدا بعض الاستثناءات، تصنيفهم مع صنف المتآمرين الاشداء». ان هؤلاء الرجال ينتمون الى الحزب القومي الكردي ولكن لوجه الانصاف يمكن على كل حال الاعتراف بانه يتضمن بعض الاعضاء الذين تدفعهم رغبة صادقة في العمل لاجل أمال كردستان ككل .. وان افضلهم هو كامل بك خيالي زادة، وشوكت بن اسماعيل من عائلة زازا. وهناك آخرون منهم احسان بك والدكتور فؤاد واكرم بك . أن هذا الاخير نشط وقد درس في سويسرا ... أن هذا الحزب الذي يمكن ان يطلق عليه الحزب المعتدل الكردي سيرحب في اعتقادي بالحماية البريطانية وبادارتها، ولكن بشرط ان يكون تطور بلادهم يجري ضمانة على الاسس القومية. ان النادي الكردي في بداية أمره كان خاضعاً لحد ما للحكومة (العثمانية في استانبول)، ولكن في المدة الاخيرة اخذ يبدي موقفاً مستقلاً مما حدا بالحكومة ان تقف منه موقفاً عدائياً اكثر فاكثر الى ان قررت أخيراً غلق هذا النادي.

ان الاحداث التي ادت الى هذا لاتخلو من طرافة من حيث انها تقدم مثلاً مناسباً على منابع المؤتمرات والاساليب التي يعتمدها العثمانيون. فعندما وصلت اخبار احتلال أزمير (من قبل اليونانيين ١٩١٩) لم يتماهل العثمانيون في استغلال هذا الحادث لصالحهم، فأخذوا يدعون الاكراد الى عقد مقارنة بين ديار بكر وازمير، اي احتمال تعرض ديار بكرلاحتلال مماثل. أن جميع هذه التدابير لها تأثيراتها الطبيعية .. وقد حضر عندي (عند نوئيل) من ماردين وفد يطالب بالتدخل البريطاني. ولكن على اية حال برزت طريقة اسلم للخروج من هذه المشكلة، وذلك بجعل النادي الكردي الضحية وهذا ما كان ممكن عمله. فبحجة حماية مختلف الطوائف أرادت الحكومة ان تزيل هذه الهيئة المعارضة لسلطتها، وسارعت الى العمل فوضعت الرشاشات على القلعة وحشدت القوات واعتقلت قادة النادي الكردي. وفي النهاية فالنادي نفسه أغلق في اليوم الرابع من حزيران».

ومن كتاب درايفر نفسه ايضاً هذه المقتطفات من يوميات

نوئيل المبكرة : ففيما يخص الجانب الديني يقدم الميجور نوئيل الملاحظات التالية :

«من تجاربي في غضون الشهرين الماضيين (مارت ـ مايس ١٩١٩) من جولاتي في المناطق المذكورة أشعر بان المسألة الوطنية الكردية تفوق جميع الاعتبارات الاخرى وتحجب عليها. وقد لا يظهر هذا جلياً الآن ولكني متأكد ان هذا الوعي سيبرز كحقيقة ويفرض نفسه. فيمكن ان نستنتج من هذا ان الاكراد يسهل علينا ادارتهم تماماً، حالمايشعر هذا المواطن ان تطور بلاده على الاسس الوطنية يلاقي العناية المتوجبة. وهذا المواطن الكردي فوق ذلك يتحلى بموقف متفهم جداً». ولكن ماهي تلك المناطق التي تتناولها هذه التقارير والرسائل شؤون ادارتها وما هي رقعتها ؟

أن هذا يتضح نوعاً ما من هذه الوثائق . ومن هذه الوثيقة المرقمة (٦٠٨) (٩٥) (١٥٣٩) (وزارة الخارجية) ٥ شباط ١٩١٩)[4]، وهي تنقل رسالة بتاريخ ٢٧ كانون الثاني من البعثة البريطانية في باريس، وجاء فيها مايلي :

أن (الفرنسي) المسيو بيكو أبرق في ١٩ كانون الثاني بان السير مارك سايكس قد أعلمه بانه ينوي أن يقترح خلق أمارة كردية قائمة بذاتها تضم ايضاً مناطق تحت النفوذ الفرنسي الموقت.، وان توضح هذه الامارة تحت الحماية البريطانية، أن المسيو بيكو يرفض النظر في هذا الاقتراح لأنه مضاد للمصالح الفرنسية، ويؤدي الى التضحية بطوائف كانت تحت الحماية الفرنسية تقليدياً .

وهناك وثيقة اخرى برقم (٦٠٨) (٩٥) (٥٠٦٩) (جيبون) (مؤتمر السلام) (٢١ مارت ١٩١٩). وقد جاء فيها :

أن شريف باشا سيقدم قريباً طلباً يؤيد كونه معترفاً به من الاكراد. وانه من المفهوم انه فيما لو قبلت الولايات المتحدة الامريكية الانتداب على ارمينيا وقبلت بريطانيا الانتداب على ميسوبوتاميا كما هو المتوقع فان الامريكيين سيطلبون منا ان نضم الى ميسوبوتاميا جميع الاكراد الساكنين نحو الجنوب من نهر مراد سو ودجلة وما يجاور ذلك من الاماكن. ان هذا مسألة كبيرة تتضمن بلاداً كثيرة وعدداً كبيراً من السكان. وقد تنطوي على احتمالات اعادة النظر في مشروع خط سكة الحديد .. وعلى ذلك يبدو ان الوقت قد حان لكي نبلور أفكارنا في صورة محددة بخصوص هذه المسألة. وانني ارفق خارطة توضح خطاً قد يفيد كأساس للنقاش ومتمثلاً في حدود تقريبية بين ارمينيا وكردستان . ويعتمد رأي الامريكيين في تثبيت هذا الخط، وجميع منابع دجلة بضمنها بحيرة كولجيك تضم الى ميسو بوتاميا. وهذا يعني ان تنضم مناجم النحاس في ارغانا (ارغني) ايضاً اليها وافهم أنا اننا لاننوي الحصول على هذه المناجم .. ولكن من المحتمل تنظيم حقوق ما فوق الاقليمية اذا كان هذا يعتبر أمراً عادلاً ومعقولاً، كأنْ تعطى هذه المناجم لأرمينيا. أن الادارة المقبلة لحكومة كردية جبلية قد جرى الاهتمام بها. وقد جرى الاقتراح أنه فيما لو قبلنا نحن بتحمل مسؤولية هذه الدولة فسيكون من الضروري تشكيل حكومة غير متماسكة تحت ادارة مندوب بريطاني متنقل؛ وستكون حرة لدرجة كبيرة ولكن ربما ستكون خاضعة لحكومة ميسو بوتاميا مركزها بغداد، ... وسيكون من الضروري وجود مندوبين مقيمين في مراكز أخرى ...

أنني ارفق طياً تخطيطاً عملياً لتنظيم محتمل واقدم تفاصيل بخصوص أحتمال استخدام الاكراد لمهام الحاميات. وبخصوص هذا الموضوع الاخير فتنبغي الملاحظة انه على ضوء برقية واردة حديثاً من استانبول فان قوات ليفي الكردية السابقة كانت قليلة الاهمية وان برقيتي الجنرال كوب والجنرال ميلن من استانبول حول هذا الموضوع مرفقتان طياً ..

الوفد البريطاني
(مؤتمر السلام)
في باريس
٢١ مارت ١٩١٩

(1) PRO, (608) (95) (16585) (FROM SHERIF TO MR. VANSITART) (PEACE CONFERENCE) JULY 29 THERIF 1919)

(2) IBED, (194636) GENERAL SH. PASHA) (KURDITSTN) (9TH. OCT.. 1919

(3) DRIVER, G-R-KURDISTAN AND KURDS, MOUNT KARMEL,G.E.C., 1919.

(4) (608) (95) (1539) (FOREIGN OFFICE) (KURDISH EMIRATE) (REB., 5TH., 1919).